



جبران خليل جبران

ومعرضه التصويري

اسم جبران خليل جبران في الآداب العربية يستتزل على قلب من يعرفه بهجة نيرة واعجاباً ويحرك في قارئه شواعر غزيرة صافية تتدفق من نفس وجدت في كتاباته راحتها ونورها وطريقها المؤدية الى قسم الحقيقة والفجر الروحي .

ولكن لجبران اسماً في غير الآداب ، ولحياته الروحية اثراً غير الكتب والدواوين . ان له عدا ذلك اسماً عاطراً وصيتاً ذائعاً في فن التصوير . وله من الآثار في هذا الفن الشريف ما جعل له مكانة سامية في عالم الفن الاميركي (ومن لي بأن أقول السوري ؟) يعترف بها الناقدون المحيرون

: يقيم جبران كل سنة معرضاً يجلو به صوره الجديدة شأن كبار المصورين وقد أقام من عهد قريب معرضاً لصوره الصغيرة اتاح لنا الحظ ان نكون في

جملة من استعرضوها في قاعات كنودلر الشهيرة في نيويورك .
 دخلنا الحجرة المخصصة لصور جبران خاشعين . وجلنا ننأمل صوره
 الاربعين مستفسرين غوامضها مستجلين رموزها في سكينه لطيفة غامرة لم
 يكرها وجود المتفرجين . فرأينا روح جبران السامية متجلية في رسومه كما
 كننا نراها في تضاعيف سطور مقالاته .

معرض جبران يهنا نحن السوريين كثيراً لانه جل ما عندنا من الفنى
 الفنى ان لم يكن كله . فليس من يمثلنا في هذا الفن الجليل الجميل سوع
 جبران - وقد يذكّر غيرنا واحداً أو اثنين سواه من الذين لا يزالون مجهولين
 عندنا - فلذلك يستدعي هذا المعرض قول كلمة تقدير منا تفية حقه من
 وجهته الفنية والوطنية المتعلقة بنا . ولكننا لا نرى من نفسنا اهلية واستحقاقاً
 لان نخرط في عداد منتقدي التصوير . ولهذا نستعين على غرضنا بايراد بعض
 ما قالته الصحافة الاميركية في هذا المعرض - وقد قالت فيه كثيراً - وانما
 تقتضب مما وقع تحت اعيننا في الصحف التي اعتدنا مطالعتها .

قالت جريدة « نيويورك اميركان » تحت عنوان « روى مصور شاعر »
 - « رسوم جبران تشغل احدى الغرف في معرض كنودلر وتلبس تلك
 الحجرة حلة غريبة تفصيلها عما حولها من الاعتياديات . وذاك لان جبران
 شاعر مثلاً هو مصور ، ولان سكون تلك الحجرة كان مكتظاً بمخلوقات
 مخيلته . وكأني بالتأمل فيها يدخل الى حجرة النفس البشرية فيجدها مسكونة
 بأشباح التذكارات والاحلام والشواعر .

هنالك رهط من القنطورس (١) يتلهون بالانسان كأنه لعبة . وهناك بشر مستغرقون في وحدتهم ، وآخرون أقل وحدة منهم يعانق بعضهم بعضاً . وهناك وجوه مستغرقة في هواجسها استغراقاً عميقاً حتى لتكاد تحسبها نائمة . وهناك هدوء تام حتى انك لتحسب الهواء فارغاً تسكنه ارواح هي اشواق وزغات صامتة يتساءل عنها القواء قائلآ - أهى يا ترى نتيجة شواعر لم تنطبق على الواقع أو هى خبرة لم تكن سوى اغترار ! وما اهيب هذا المكان وقد أبكمه الغموض ونابت فيه الشهوة عن الارادة ووضع القدر الاعشى الشهوة تحت أمره .

أجل ان القدر الاعشى ليرف فوق كل شىء . هنالك بطيئاً في عمله كأنه يتلمس طريقه واثقاً بقوته اكثر من وثوقه بقصده ، بينا الانسانية تخضع امامه ذليلة مترقبة فجر الحرية ليحل قيودها ويطلق سراحها ويفتح عينها للنور ويمنح روحها جناحاً ويسعفها لتغلب نفسها بنفسها فتسود على القدر الذى كان لها سيداً .

وكأنى بالترقب المتوتر قد حصر النظر في وجه من انوجوه بين تلك الصور . وهو وجه امرأة دقيق الرسم لطيف الملامح قد علا فوق الارض والصخور حيث تولدت اشكال مبهمه غير كاملة ولم ينفصل عنها تماماً بل لا يزال مربوطاً بها بصلات القرابة . ارتفعت المرأة نحو الاعالى ووجهها يتألق بنور ناعم لين كالقمر في ظلال الفجر وأجفانها قد أخذت بالانفتاح لاقتبال

(١) القنطورس حيوان خرافي نصفه الاعلى انسان ونصفه الاسفل حصان

نسمة الروح • وقد دعا المصور هذه الصورة الجميلة الموضحة مظهرًا رائعًا غريبًا من الاحتمال والشوق باسم « السكينة »

وفي المكان نفسه فوق بقية الرسوم صورة جسم طائر لا جناح له يعتمد في طيرانه على قوته الغريزية في العوم والحركة • وذلك الجسم قد انبسط عارياً انبساطاً حراً مطلقاً على بياض الورق • وبين هذا الجسم والحلاء من المناسبة في الدقة والنعمومة ما ينتقل بخيلة الناظر رغماً الى ما وراء حدود القوطاس • فيخيل له ان ذلك الجسم يتحرك باستقلال في عباب اللانهاية

وقالت جريدة « كرسشن ساينس مونيتور » - « لم يبق من التأثيرات العديدة المختلطة التي علفت بذهننا اثناء زيارة سريعة للمعارض التصويرية ما هو اشد صراحة من التأثير الذي أحدثته فينا رسوم جبران المعروضة في معرض كنودلر •

جبران سوري ولد في متحدرات لبنان الغناء العريقة في القدم • والظاهر ان التخيلات الشعرية الشرقية بنوامضها الباطنية ثبتت فيه رغم التغيرات الجوهريّة التي انتقل اليها اثناء درسه الادب وثمانية التصوير سنين عديدة في باريس ونيويورك »

وقالت مجلة « اميركان آرت نيوز » - « تعرض في معرض كنودلر رسوم لجبران خليل جبران ينتهي عرضها في العاشر من شباط • هذه الرسوم وان كانت تنم عن تأثير فن « رودان » في جبران ، فهي تبرهن عن مقدرة الاخير وتفنته ... وبعض هذه الصور خيالية غريبة • وتستحق دون شك

ألتفات القوم ..

وقالت جريدة « التايمس » في مجلتها الاحدية - « في معرض كنودلر رسوم لجبران تسبب لذة عظمتى للجمهور الميال الى هذه الاساليب من الفن . معلوم ان نية المصور تقاس باهمية رسومه . فاذا تعمق حتى وصل الى جوهر موضوعه وعرض علينا ما يراه مقتبطاً اغتباط من يكشف شيئاً جديداً ، فهو المصور الحقيقي مهما عرض له اثناء ابحاثه العنيفة في عمله الدقيق . ويلذ لنا ان نرى ان كثيرين من المصورين الذين يستميلهم التعمق في منهجهم يعدلون احياناً كثيرة الى البساطة ويجدون راحة في العود الى التصوير بالفحم أو بالقلم . »

وقالت جريدة « التريبيون » النيويوركية - « رسوم جبران المعروضة في متحف كنودلر تبلغ الاربعين عدداً . وهي حديثة الطرز بمنها اكثر منها بمنها . وتذكرنا بأسلوب تصاوير رودان الشهير - على ان جبران يستني في رسومه اكثر منه ويرسم الهيئات مستعملاً خطوطاً كثيرة حيث لا يستعمل رودان الا خطأ واحداً - وجبران خيالي ورمزي و « مفكر رزين » »

ونشرت مجلة « الفنون السبعة » مقالة ضافية تحت عنوان « فن جبران خليل جبران » بقلم احدى شهيرات المنتقدات الاميركيات فاعطت وطنينا حقه من التقدير والمدح . ولقد كنا نود تعريبها بكاملها لنطلع قراءنا على ما لجبران من المكانة في عالمي الفن والادب الاميركيين لولا ضيق النسخة . فلذلك نكتفي بايراد بعض جمل منها -

« فن جبران رمزي سامي المغازي ، لان اصوله ليست في التصورات بل في تلك الحقائق الجوهرية التي تظل ثابتة في كل العصور والتجارب... »
 جبران يهتم في فنه ليس بتاريخ الانسان فقط بل وتاريخ الحياة أجمع .
 ويهمه منها ليس وصفها وتصويرها فقط بل وفوق ذلك مقاسمتها عراكتها الأبدية .
 فنه عصري كروح عصرنا الحديث ، وقديم كالزمان »

هذا هو جبران المتفنن كما يقدره الاجانب ومن الغبن والحيث المدهش ان نرى صحافتنا لم تكثر بمعرضه ولم تفه حقه من النقد والذكر . فكأن الفن في عرفها لا يستحق تنويهاً بازاء مواضيعها الدنيوية ، ولذلك تركت للاميركيين حق الافتخار بمصور شرقي نحن احق باكرامه من الاجانب .
 ولكن ربما صدق فينا القول المأثور « ليس لبني كرامة في وطنه »

